جغرافية اللغة العربية وتخطي الحدود السياسية

أ. عواطف عبد الله حامد درويش

تعريف الجغرافيا اللّغويّة:

تهتمّ الجغرافيا اللّغويّة برسم خرائط تظهر توزيع لغة واحدة أو عدّة لغات أو كلّ لغات الكون. فتبيّن انتشارها.وترسم حدود مجالها بألوان مختلفة أو بعلامات مميّزة.وتسمّى مجمل الخرائط المرسومة أطلسا لغويّا (Linguistic Atlas). وقد تكون تلك الخرائط مقيّدة بتطوّرها الزّمنيّ أو مقسّمة إلى حقبات تاريخيّة معيّنة. وعندها يشار إليها باسم الأطلس اللّغويّ التّاريخيّ. ويتنزّل هذا العمل عند بعض اللّسانيّين ضمن التّصنيف المجاليّ للّغات (Areal Typology).

مجالات الجغرافيا اللّغويّة:

قد يكون موضوع الخريطة توزيع المفردات وتمييزها حسب النّطق أو الدّلالة أو الوظيفة التّركيبيّة أو أي سمة من السّمات المميّزة في اللّغة أو أيّ متغيّرة من المتغيّرات اللّسانيّة في أي مستوى كان.فترسم خريطة تبيّن مواقع القبائل أو القرى أو الأقاليم أو البلدان بوساطة علامات معيّنة. ثمّ تجمع العلامات في ما بينها.وتربط بخطوط تحدّد ما يسمّي «الجزر اللّغويّة» (Linguistic Island) داخل المجال المعنيّ أو ترسم حدّا فاصلا بين طريقتين في النّطق أو في الدّلالة وتسمّى «خطّا لهجيّا» (Isogloss). ويرسم كلّ خط لهجيّ، في الواقع، حدود المجموعات اللّغويّة المختلفة.

أمّا إذا كان هدف الخريطة توزيع اللّهجات وحدودها أو استرسالها وتداخلها فإنّه يشار إليها باعتبارها أطلسا لهجيّافتدخل عندئذ في مجال الجغرافيا اللّهجيّة (dialectal Deography). وإذا أُخذ عامل الزّمن في الحسبان عند رسم الخرائط، حسب انتشار لهجة من اللّهجات أو انحسارها أو تعويضها بأخرى أو اندثارها من الاستعمال أو ارتقائها إلى مصافّ اللغات العالميّة، فإنّه يشار إليه باعتباره أطلسا لهجيا تاريخيّا.

كان أوّل من وضع الأطلس اللّغويّ وطرح فكرته باعتباره أداة علميّة في دراسة اللّهجات داخل مجال لغويّ معيّن هو الفرنسيّ جيل جيلييرون (١٨٥٤-١٩٢٦).وقد نشر أوّل أطلس لغويّ باللّغة الفرنسيّة على مراحل من سنة ١٩٠٢ إلى سنة ١٩١٠، بالتعاون مع تلميذه إدمون إدمون (Edmont Edmont) هو «الأطلس اللّسانيّ الفرنسيّ». وهو عمل ضخم يشتمل على ١٤٢١ خريطة.

مشروع أطلس اللّغة العربيّة ولهجاتها:

أدركت أغلب الدّول العربيّة أهميّة الأطلس اللّغويّ وقيمته العلميّة في رسم حدود اللّهجات وتحديد السّياسات اللّغويّة. وصُمِّمت مشروعات أنجز بعضها جزئيّا في فلسطين (٤٢ خريطة) واليمن (١٦٨ خريطة أنجزها الألمانيّ بينشتاد) وكذلك مصر (٥٦٠ خريطة أنجزها الباحث الألمانيّ بينشتاد نفسه) وتونس (شُرع في العمل لمدّة سنوات.ووضعت قائمة الأسئلة التّي ستطرح على المستعملين.وتمّ جزء كبير من الجرد.وبدئ في رسم الخرائط. ثمّ توقّف المشروع).و بذلت كذلك جهود متفرّقة في الجزائر والمغرب («أطلس المغرب العربيّ» لمرسيل ودفيد كوهين) والسعوديّة (مشروع «معجم اللّهجات المحكيّة في المملكة العربيّة السّعوديّة»، لسليمان بن ناصر الدّرسونيّ) وسوريا (مشروع برجشتراسر ١٩١٥)، ولكنّها لم تتبلور في أطلس لغويّ. وهكذا لم يظهر إلى اليوم أيّ أطلس لغويّ عربيّ كامل لقلّة الدّعم الماليّ وتشتّت الجهود.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها: ؟ الأسماء الجغرافية واللغة العربية الفصيحة:

قال ابن جني: اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن حاجاتهم. وتعريف اللغة الآن أصبح أدق وأعمق من ذلك، فاللغة هي الفكر والثقافة والحضارة والعقيدة والقيم والمفاهيم والمعارف، وهي بالتالي هوية الأمة، والمكون الأساسي لشخصية الفرد والمجتمع والأمة، وقد قيل: اللغة أنت

إذا لم تعرف من أنت. والمكان من مكونات الأمة الأساسية فالعلاقة بين اللغة والمكان هي علاقة تلازمية تكاملية دلالية لغوية تحليلية وصفية. - وقد عرف دليل توحيد الأسماء الجغرافية على الصعيد الوطني الصادر عن الأمم المتحدة الاسم الجغرافي بأنه: "اسم يطلق على معلم أرضي، وبوجه عام فإن الاسم الجغرافي هو اسمٌ العلم كلمة محددة أو مجموعة محددة من الكلمات أو تعبير محدد" يستعمل في اللغة استعمالاً أو منطقة معينة، لكل منها هوية تميزه على سطح للإشارة إلى مكان أو معلم معين متسقا الأرض". - وكلمة الجغرافية: مركبة من كلمتين يونانيتين هما (جيو) وتعني الأرض، و(غرافيا) وتعني الوصف أو الصورة، أي صورة أو وصف الأرض. تنطق مفتوحة. ولم تكن مستعملة عند العرب حتى القرن تنطق حركة الجيم فيها مضمومة وأحيانا الثاني عشر حيث استعملها الزهري الأندلسي للدلالة على خارطة البلدان والطرق. واستعملت لأول مرة بمعنى علم الجغرافيا في رسائل إخوان الصفا. - كان لدى الجغرافيين العرب القدامى مصطلحات أخرى تدل على هذا العلم، منها:

أ- علم الأطوال والعروض وعلم تقويم البلدان، وهما يركزان على الحركات الفلكية للأرض والكون.

ب- علم المصورات (الخرائط) وتحديد عرض المدن وأطوالها، وتقسيم الأرض إلى مناخات وقوائم تضم التضاريس الجغرافية والبلدان والمدن، وتسمى (بالجغرافية الرياضية).

ج- علم المسالك والممالك وعجائب الدنيا، وهما يشيران إلى تقسيمات فرعية من العلومٌ عن جفاف الجغرافية الجغرافية، ويرميان إلى إلقاء نظرة إجمالية على الأرض والعالم بعيدا ٢ الرياضية، ويطلق عليهما "الجغرافية الأدبية أو الوصفية". وهذه الجغرافية غزيرة في مادتها،ٌ في أدب الأمم الأخرى. متنوعة في موضوعها، أدبية في أسلوبها، وقد لا نجد لها مثيلا وأهمية الأسماء الجغرافية تتجلى في أن معرفة الأسماء الجغرافية علم قائم بذاته، وهي تدخل في مختلف جوانب الحياة لكل مجتمع من المجتمعات أو أمة من الأمم، وأهميتها تنبع من هذا التصور، ولذا قال ياقوت الحموي فيها: "إذ كان الافتقار إلى هذا الشأن يشترك فيه كل من ضرب في العلم بسهم، واختص منه بنصيب أو قسم، أو اتسم منه باسم، أو ارتسم بفن منه أو رسم". (معجم البلدان ٨/١ (ومعرفياً وعمرانياً واقتصاديا - وللجغرافيا أهميتها في جميع مكونات المجتمع الإنساني: اجتماعياً وصحياً وثقافيا وسلوكيا وقال ياقوت في أهميتها الاجتماعية: " في (معجم البلدان ٨/١ (وقال في أهميتها الشرعية والفقهية: "لا يسع الفقهاء جهلها، ولا يعذر الأئمة والأمراءُ إذا فاتهم في طريق العلم ح نها وسهلها،ٌ ز لأنها من لوازم فتيا الدين، وضوابط قواعد الإسلام والمسلمين". (معجم البلدان ٩/١) وقال في أهميتها التاريخية والعمرانية والعلمية: "فأما أهل السير والأخبار، والحديث والتواريخ والآثار، فحاجتهم إلى معرفتها أمس من حاجة، والمشفي إلى العافية بعد يأس من الشفاء، لأنه معتمدُ الرياض إلى القطار، إخلاف الأنواءٌ غب علمهم الذي قل أن تخلو منه صفحة، بل وجهة، بل سطر من كتبهم ". (معجم البلدان ٩/١)

أهداف الدراسة :

تبرز أهمية هذه الدراسة في العلاقة الوثيقة بين علم الجغرافيا واللغة العربية،وأن اللغة العربية تخطت كل الحدود السياسية،التي صنعها الحكام والملوك على مدى سنين طويلة.

منهجية الدراسة :

تتبع الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لمعرفة واقع ودور اللغة العربية، في العصر الرقمي وارتباطه بعلم الجغرافيا، وقد استعانت الدراسة بهذا المنهج الذي يتلاءم مع هذا النوع من الدراسات، وذلك بتحليل معطيات الواقع من خلال دراسة واستقراء المنشورات؛ من بحوث ودراسات تناولت موضوع اللغة العربية، والقضايا التي تواجهها الهوية واللغة في عصر المعلومات والعولمة، كما تم رصد كل ما كتب عن الموضوع من خلال البحث في المكتبات ومواقع الإنترنت ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

موضوع الدراسة :

وموضوع الدراسة "جغرافية اللغة العربية وتخطي الحدود السياسية " من القضايا الأساسية التي شغلت قطاعات المثقفين والسياسيين والإصلاحيين في الوطن العربي، وعقدت فيه مؤتمرات

وندوات كثيرة، ناهيك عما كتب من موضوعات ودراسات لا حصر لها، وهذا الاتجاه ليس بالجديد وإنما هو قديم جدًا، ولكن بالطبع تختلف المعالجة والمرجعية باختلاف المتغيرات من حولنا بسرعة رهيبة.

أهمية الدراسة:

١- إبراز أهمية اللغة العربية الفصحى وبيان صلته بعلم الجغرافيا.
٢- عرض التحديات التي تواجهها اللغة العربية الفصحى.
٣- كشف القناع عن بعض التفسيرات الخاطئة المتعلقة بواقع اللغة العربية.

إنها دراسة شاملة لأغلب الموضوعات المتعلقة بواقع اللغة العربية ومأمولها مثل؛ المحتوى العربي، والتعليم، والبحث العلمي، وغيرها، وتشرح أهمية اللغة والهوية والعلاقة بينهما، وتعالج تأثير الانفتاح المعلوماتي على المتأثرين به خاصة الشباب والأطفال، وهي تعد دراسة مرجعية تشير لأغلب ما سبقها من كتابات في المجال.

أولا: الأهمية العلمية للدراسة:

تهتم الدراسة بإضافة صورة جديدة، بنظرة جديدة للمكتبة العربية في الإشارة إلى قضايا تهم المجتمع العربي،وهي قضية الواقع الراهن للغة العربية وتأثره بالحدود السياسية. وهي بذلك تعد مرجعًا للعديد من الموضوعات الحيوية في المجتمع العربي.
- أغلب تسمية الكيانات الجغرافية ناتجة عن التسمية التلقائية أو الشعبية، أي تبدأ بوصف الشيء موضوع التسمية، ويتطور الاسم الجغرافي عادة من صيغة التعبير الوصفي اسمً: جبل أخضر ثم الجبل الأخضر. العلم، مثلا - معظم الأسماء الجغرافية صيغت عن طريق وصف جوانب محددة للمواقع المحلية أو المعالم، وهي توفر معلومات عن الظروف الطبيعية والثقافية التي كانت موجودة عندً لتاريخ الأماكن التي استقر فيها الإنسان. ومهماً عنصر مكملا صوغها، وهي تشكل ا - الأسماء الجغرافية انعكاس للتفاعل بين الإنسان والطبيعة عبر فترات الزمن المختلفة، وتبين الدراسات الإقليمية العديدة التي أجريت في العالم في مجال الأسماء أن الأسماء الجغرافية تقدم صورة مفصلة متعددة الأوجه للوجود البشري في علاقته بعناصر البيئة المحيطة بنا. وفي بعض الحالات يمكن للأسماء الجغرافية المكتوبة أن تخبرنا بشكل عام عن النطاقات الزمنية للاستيطان. عليهاً لأهمية الأسماء الجغرافية في الحياة الاجتماعية والثقافية لدى الأمم وحفاظا - نظرا فقد أصدرت الأمم المتحدة سنة ١٩٦٧م توصيات عدة منها: - تفادي تغيير الأسماء بلا ضرورة. - أن تكون تهجئة الأسماء الجغرافية مطابقة قدر الإمكان للممارسة الإملائية الراهنة للبلد المعني في إيلاء الاعتبار الواجب للصيغ المستعملة في اللهجات

وقد حرصوا على تحديد الاسم هل هو عربي أو غير عربي: قال ياقوت: " أصل بغداد للأعاجم، والعرب تختلف في لفظها إذ لم يكن أصلها من كلامهم، ولا اشتقاقها من لغاتهم...

فروض البحث:

- يهدف الإطار النظري في البحث الى توضيح العلاقة الوثيقة بين الجغرافيا واللغة العربية والتحديات التي تواجهها في عصر العولمة والانفجار المعرفي وكيفية التغلب على هذه التحديات.
× الفرضية: تتطلب مشكلة البحث(الظاهرة التي نقوم بدراستها واقع اللغة العربية) تحديدها بشكل دقيق وصياغتها على شكل فرضيه/ فرضيات يمكن اختبارها والتأكد من صحتها.

وحكى الخارزنجي: بغداد بدالين مهملتين، وهي في اللغات كلها تذكر وتؤنث". (معجم البلدان ٤٥٦/١) - وحرصوا على مطابقة الصفة للموصوف في الأسماء الجغرافية، فقال ياقوت مثلا "غَ البحيرة المنتنة: وهي بحيرةً، وهي غربي الأردن قرب أريحاَ ، وهي: المقلوبة أيضا وتعرف الآن بالبحر الميت". (معجم البلدان ٣٥٢/١) وأشاروا إلى المفرد والمثنى والجمع: جمع بقعة: موضع يقال له بقاع كلب، قريب من دمشق، وهو أرض قال ياقوت:" البقاع واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق". (معجم البلدان ٤٧٠/١) - والى معاملة المثنى المسمى به معاملة المثنى في الإعراب: يقول ياقوت:" البحرين هكذا يتلفظ بها في حال الرفع والنصب والجر، ولم يسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم...". (معجم البلدان ٣٤٦/١) وكذلك الأمر في الكفرين في غور الأردن. ٧ - كما أشاروا إلى معاملة جمع المؤنث السالم المسمى به معاملة جمع المؤنث السالم في الأعراب أو منعه من الصرف، وفي ذلك يقول

ياقوت: " أذرعات: بالفتح، ثم السكون، وكسر الراء، وعين مهملة، وألف وتاء. كأنه جمع أذرعة، جمع ذراع جمع قلة... وقال النحويون بالتثنية والجمع تزول الخصوصية عن الأعلام، فتنكر وتجري مجرى النكرة من أسماء الأجناس، فإذا أردت تعريفه، عرفته بما تعرف به الأجناس، وأما نحو أبانين وأذرعات وعرفات فتسميته ابتداء إنما عرف مثل ذلك بغير حرف تعريف، تثنية وجمع، كما لو سميت رجلا بخليلان، أو مساجد، واً لأنها لا تفترق، فنزلت منزلة شيء واحد، فلم يقع إلباس، واللغة الفصيحة في وجعلت أعلاما عرفات الصرف، ومنع الصرف لغة، تقول: هذهً عرفات وأذرعات، ورأيت عرفات وأذرعات،ً ، وهذه التاء التي فيه للجمع لا للتأنيث لأنه اسمً واحدا ومررت بعرفات وأذرعات، لأن فيه سببا لمواضع مجتمعة، فجعلت تلك المواضع اسما واحدا، وكان اسم كل موضع منها عرفة وأذرعة، ي، وقيل: إن التاء فيه لم تتمحض للتأنيث ولاً وقيل: بل الاسم جمع والمسمى مفرد، فلذلك لم ً تنكر للجمع، فأشبهت التاء في نبات وثبات، وأما من منعها الصرف فإنه يقول: إن التنوين فيها للمقابلة التي تقابل النون التي في جمع المذكر السالم، فعلى هذا غير منصرفة... وينسب إلى عي. (معجم البلدان ١٣٠/١ -١٣١ً (أذرعاتٌ أذر "ُ - وأشاروا إلى أن الأسماء الجغرافية المركبة عوملت معاملة الأعلام المركبة أو طبقت عليها القواعد الخاصة بذلك، مثل:؛ مثل: بحيرة المرج، وبيت راس، ورأس منيف، وساحلً إضافيا - الأسماء المركبة تركيبا العاج، وبيت المقدس، ومدينة السلام، حيث تظهر علامة الإعراب على الجزء المضاف، والجزء مجروراً الثاني يبقى بالإضافة.، مثل: حضرموت، رً مزجياَ - والأسماء المركبة تركيبا وبعلبك، وبحيرة ه في البحرين،َج حيث تظهر علامة الإعراب على الجزء الثاني، ويعامل معاملة الممنوع من الصرف. مثل: سر من رأى، وأصبحت سامراء، وتعامل معاملةً إسناديا - والأسماء المركبة تركيباً إسناديا الاسم المركب تركيبا - وذكروا الأسماء التي يستوي فيها التذكير والتأنيث، مثل: - "بغداد بدالين مهملتين، وهي تذكر وتؤنث، وتسمى مدينة السلام". (معجم البلدان ٤٥٦/١ (- وبينوا الأسماء الممنوعة من الصرف، والنسبة إليها، مثل: أَذر: بالفتح: ثم السكون، وفتح الراء، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة وجيم... وقدَ " بيجانً فتح قوم الذال، وسكنوا الراء، قال النحويون: النسبة إليه أَذري وقيل: أَ بسكونً بالتحريك،ًذري ٨ ر اسمً الذال، لأنه عندهم مركب من أذر بيجان فالنسبة إلى الشطر الأول، وقيلَ أَذ بي، وهو اجتمعت فيه خمسة موانع من الصرف: العجمة والتعريف، والتأنيث والتركيب ولحاق الألف والنون". (معجم البلدان ١ /١٢٨) ما قاله ياقوت في عمان: ومنه أيضاً فلا ينصرف ً يعم "عمان: بالفتح ثم التشديد، وآخره نون، يجوز أن يكون فعلان من عمً من عمن فيصرف في الحالتين إذا عني به البلد". معرفة، وينصرف نكرة، ويجوز أن يكون فعالا (معجم البلدان ١٥١/٤) - وأشاروا إلى طريق الإملاء، ومن ذلك: يقول ياقوت:" الأُ دُن: بالضم ثم السكون، وضم الدال المهملة، وتشديد النون... وحكمُ ر الهمزة إذا لحقت بنات الثلاثة أن تكون زائدة حتى تقوم دلالة تخرجها عن ذلك، وكذلك الهمزة في ً ة كفٌ ً ب أُس والأَس... يقول اللغويون: الأردن النعاس... والظاهر أن الأردن الشدة والغلبة". (معجمً ر (١/١٤٧ البلدانً للتصحيف والتحريف: - وحرصوا على ضبط حروف الاسم منعاً مثل قول: ": بالضم: قرية من أعمال نابلس من أرض فلسطين.". (معجم البلدان ٤٧٨/١) ب لاطةً - وقال أيضاً خ "الأُ ِخ: بالضم، ثم السكون، وضم الراء، والواو ساكنة، والتاء فوقها نقطتان: لافٌ وت ر مً مرتجلا الخ باليمن، ولعله أن يكون علما رت، وهو الثقب". (معجم البلدان ١٢١/١،) أو يكون منَ - وتحدثوا عن هذه الأسماء من حيث بناؤها ووزنها ومطابقتها لأوزان العربية، يقولً ياقوت في لايا: بفتح الحاء، وسكون الواو، وبعد الياء ألف: قرية كانت بنواحي النهروان... و ح سألت أبا علي عن وزن حولايا، فقال: "فيه أربعة أحرف من حروف الزيادة، أما الألف الأخيرة فإنها ألف تأنيث كألف حبلى، يدلك على ذلك قول أبي العباس إنها بمنزلة سقاية، ويقول سيبويهً حاية، وأما الألف الأولى فزائدة، فبقي الواو والياء فلا يجوز أن تكون زائدتين إنها بمنزلة د ؛ لأنه رً يبقى الاسم على حرفين، فثبت أن إحداهما (زائدة) عال، وليس ذلكَ و فإن كانت الواو زائدة فهو فً في الأسماء، وا لايا، وليس في كلامهم، وهذا يدل على أنه ليس باسم إن كانتَ ع الياء زائدة فهو ف عربي، ولو أنه عربي كان في أمثلتهم مثله".

(معجم البلدان ٢/٣٢٢ -٣٢٣ (- وذكروا معنى الاسم ودلالته اللغوية والاصطلاحية، يقول ياقوت: ٩ ـب: بالتحريك مدينة عظيمة، واسعة كثيرة الخيرات، طيبة الهـُ "ح واء، صحيحة الأديـم َل ُب في اللغة: مصدر قولك َل َ والماء... والح َب ح ب ل ُ ً َل ً، والح َبا ً، ُ وطربت َطر َبا َر ً، وهربت ه َبا َل ُ ُب ح ل أَح ً من الجباية مثل الصدقة ً : اللبن الحليب، يقال: حلبنا وشربنا لبنا ـب أيضا ُ ً َل ً، والح َبا َل ً وح حليبا ونحوها". (معجم البلدان ٢/٢٨٢ (ي ّني: َ - وذكروا ما جاء من الأسماء الجغرافية على صيغة الفعل، قال ياقوت: " م ّ يه، وقياسه ضم أوله إلا إنه هكذا روي..." من بفتح أوله وثانيه، وتشديد النون، كأنه مضارع ّمناه ي (معجم البلدان ٥/٤٤٩ (ضارب إذا ُنابع مثل ضارب ي ُ: مضارع نابع ي ِع ً: "ي أوقع كل واحد الضرب ُناب ومنه أيضا بصاحبه، وهو اسم مكان أو جبل أو واد في بلاد هذيل..." (معجم البلدان ٥/٤٤٩) -

• الوضع الجغرافي للغة العربية

للغة العربية تاريخ طويل تبدأ جذوره من القرن الخامس ق.م، وذلك إذا ما اعتمدنا على النقوش الثمودية التي عثر عليها في شمالي الجزيرة العربية ووسطها.

البيئة الجغرافية للغة العربية.

نشأت اللغة العربية على أرجح الأقوال في شبه الجزيرة العربية. ولقد أصاب القدماء الذين أطلقوا عليها جزيرة العرب: فهي، وإن أحيطت بالماء من شرقها وغربها وجنوبها، محاطة ببحار الرمال من الشمال حيث تعرف بالنفود، وهي قفار متسعة ذات رمال بيضاء تسفيها الرياح وتشكلها كثبانًا وتلالاً تحول دون اجتيازها بسهولة. في إطار هذه العزلة الجغرافية نشأت اللغة العربية التي توصف بأنها أقرب مجموعات اللغة السامية إلى النقاوة.

ولئن كان العلامة النمساوي شلوتزر أول من استخدم اسم الشعوب السامية عام ١٧٨١م، وشاركه إيكهورن في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، في تسمية لغات هذه الشعوب باللغات السامية، ومنها العربية والآرامية وغيرها، فإن ابن حزم الأندلسي توصل قبلهما بسبعة قرون إلى أن اللغات أُسر كالبشر، وأن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر لا لغة حِمْير، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها.

الدراسات السابقة: (جهود الأفراد والمؤسسات)

أولا: جهود الأفراد:

١- الآثار الإعلامية والثقافية للعولمة على دول المنطقة العربية وإمكانية مواجهتها" [ماجدة صالح،٢٠٠١] وهي دراسة إعلامية متخصصة ذكرت أنه على الرغم من الآثار الإيجابية للعولمة في المجالين الإعلامي والثقافي في المنطقة العربية، إلا أن لها الكثير من الآثار السلبية التي ينبغي على المجتمعات العربية التصدي لها من أجل المحافظة على هويتها. وذكرت الدراسة أن الآثار الإيجابية للعولمة في المجالين الإعلامي والثقافي شملت إحداث تغييرات نوعية في أنماط ومستويات الخدمة الإخبارية التي تقدمها وسائل الاتصال، وظهور ما يعرف بدبلوماسية الأقمار الصناعية، والإعلام الإلكتروني.

٢- في دراسة عن دور منهاج اللّغة العربية في الحفاظ على الهوية العربية [الهاشمي،٢٠١٠]

تصدى كثير من الباحثين العرب لنظرية السامية لأن مصدرها الإصحاح العاشر من سفر التكوين في التوراة، وأعلنوا رفضها لارتباطها بالدعوة الصهيونية التلمودية في العصر الحديث. ويميل هؤلاء الباحثون العرب إلى أن الكلدانية والآشورية والفينيقية كانت تسود منطقة بلاد العراق وبلاد الشام. وهذه اللغات كانت متشابهة بحيث يمكن عدها لهجات من لغة قديمة واحدة. والدليل على ذلك أن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ استطاع أن يتنقل بين العراق والشام ومصر والحجاز وأن يتفاهم مع جميع سكان تلك الأقطار.

أثر الموقع في اللغة العربية.

أثّر الموقع الجغرافي في اللغة العربية؛ ويتضح ذلك من تحديد جيرانها. فالفارسية في شرقي الجزيرة العربية، والآرامية كانت تسود فلسطين وسوريا شمالي شبه الجزيرة العربية، والحبشية ولغات العرب الجنوبية كانت تجاور العربية من الجنوب. واللغة العربية لا تشذ عن سائر اللغات، فهي جميعًا تتبادل التأثير والتأثر، وتصدر الكلمات والألفاظ وتستوردها. ويقال بالإجمال إن العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها. ومن آثار الموقع كذلك العزلة التي أدت إلى تعدد اللهجات في اللغة

العربية ومنها: لهجة كنانة وهذيل وثقيف وخزاعة وأسد وعرب الحجاز، ولهجة تميم وقيس في وسط الجزيرة، ولهجة ربيعة في الشمال.

تميزت لهجة قريش بخصائص أتاحت لها أن تحفظ شخصيتها وأن تسمو على سائر اللهجات. ومن العوامل التي ساعدت على إشاعة لهجة قريش بين العرب وجعلها نواة الوحدة اللغوية للعرب قبل الإسلام وجود الكعبة التي كان العرب يحجون إليها ليؤدوا مناسكهم. وترتب على ذلك تأثر الوفود بعضهم بلهجات بعض، مما أدى إلى تكوين لغة مشتركة بين العرب أساسها مكة والحجاز.

وبسبب العزلة الجغرافية للغة العربية أصبحت نسبة الأعجمية فيها ضئيلة قدَّرها الأب رفائيل نخلة اليسوعي بنسبة ٢،٥٪، بينما تصل نسبة الكلمات غير الفرنسية في اللغة الفرنسية إلى ٥٥٪، وذلك وفقًا لما أكده باحث لغوي مُحدث.

انتشار اللغة العربية.

من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية، الدين الإسلامي ومعجزته القرآن الكريم. فالمسلمون مطالبون بالتعبد بآيات القرآن الكريم في صلاتهم. ولقد ذكر المستشرق بروكلمان أنه بفضل القرآن الكريم بلغت العربية مدى لا تكاد تعرفه أية لغة أخرى من لغات الدنيا. ولقد ساعدت سماحة المجتمع الإسلامي، الذي قرر على لسان محمد [3] أنّ كلّ من يتكلم العربية فهو عربي، في نشر العربية. ومن الأمور الأخرى التي ساعدت على نشر العربية هجرات القبائل العربية إلى الأقطار المفتوحة، والإقبال على الزواج من غير العربيات. كما أن الفتوح الإسلامية حملت معها العربية، لأن العربية لغة الفاتحين المنتصرين. كما أن الأمر الذي أصدره عبدالملك بن مروان بتعريب الدواوين في الأمصار أدى إلى انتشار العربية. ومما لاريب فيه أن تشابه الظروف الجغرافية الطبيعية كان له آثار لا تنكر في انتشار اللغة العربية، التي انتشرت انتشارًا كبيرًا في القرنين الثاني والثالث للهجرة.

الوضع الجغرافي للغة العربية.

يتحدث العربية نحو ٨٩٪ من مجموع سكان العالم العربي الذين يقدر عددهم الآن بنحو مائتي مليون، وتقل نسبة المتحدثين بالعربية في الجناح العربي الإفريقي في كل من الصومال وجيبوتي، وفي بعض مناطق المغرب العربي، وجنوب شرقي الجزائر وفي بعض أجزاء من ليبيا وتونس، حيث تنتشر لغة البربر. أما بالنسبة للجناح الآسيوي من العالم العربي فنجد الكردية في شمال شرقي العراق، والفارسية في بعض أجزاء شرقي العراق، والعبرية في فلسطين المحتلة. ويقدر عدد المتحدثين بغير العربية في سوريا بنسبة تقل عن ٥٪ حيث يتحدثون الكردية والتركية والسريانية والأرمنية.

وجدير بالذكر أن ما يقرب من ٢٢٠ مليون من المسلمين من غير العرب يتحدثون العربية. كما أن مئات من الكلمات العربية قد دخلت لغات الشعوب الإسلامية. ويقال إن اللغة الفارسية اليوم تزيد ألفاظها العربية على الألفاظ الفارسية، وأَثَّرت العربية في اللغة التركية والأُردية والصومالية (٣٠٪ من مفردات الصومالية من أصل عربي) والسواحيلية والهوسا والفولانية وغيرها.

وحينما دخل الإسلام القارة الأوروبية عرفت الكلمات العربية طريقها إلى كثير من اللغات الأوروبية مثل الأسبانية والبرتغالية والإيطالية والفرنسية وغيرها.

وإذا كانت اللغة العربية من أقدم اللغات السامية، فهي باقية - إن شاء الله - ببقاء القرآن الكريم والإسلام. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إنا نحن نزَّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر:٩.

اللغة العربية والبعد الجغرافي:

بلغت اللغة العربية شأوًا عظيمًا بخصائصها الفريدة وسماتها المتميزة، ما جعلها تتربع على عرش السيادة اللغوية. وقد قلدتها سائر اللغات واللهجات تاج الإمارة طواعية، وإقرارًا بفضلها و حسن أدائها، وأسبقيتها في التوليد و الإبداع في مختلف العلوم والفنون والآداب؛ وهو ما رسخ لها قدمًا ثابتة في بناء الحضارة البشرية، وصناعة الإنسان الفاعل في نهضته، الواعي بمقتضيات مسؤولياته و احتياجاته.

لا شك أن المتغيرات الجغرافية و التحولات البشرية، قد شملت اللغة العربية، باعتبارها كائنًا حيًا، يتبادل موجات التأثر والتأثير مع محيطه بنسب متفاوتة؛ ليشق للغة الفصيحة طريقًا واسعًا نحو تعزيز مكانتها، وترسيخ دورها في التنمية والتطوير على المستويين الإنساني والبيئي.

بيد أن عنفوان هذه اللغة الخالدة قد شب عن الطوق، وأبى إلا الانفكاك

من حدوده المحلية في مسقط رأسه بجنوبي الجزيرة العربية؛ ليبسط جناح عزته وبساط كينونته في أصقاع العالم، متخذًا من الهجرات القبلية باتجاه وسط الجزيرة العربية و شمالها وبلاد العراق و الشام جسرا للتموضع؛ حيث نقلت اللغة العربية ثقلها إلى مكة المكرمة، وأصبحت القبائل القحطانية والعدنانية تتبارى في مضمار سدانة هذه اللغة، وبهذا أمست اللغة العربية وفق لهجة قبيلة قريش سيدة اللهجات الفصحى دون منازع، في كور الجزيرة العربية الخمس: الحجاز و اليمن و عُمان ونجد و البحرين. ولما بزغ فجر الإسلام في مكة المكرمة، نزل الوحي بلسان عربي مبين، معليًا لهجة قريش على سائر اللهجات ومظهرًا فصاحتها و بلاغتها.

ومع انتشار الإسلام في ربوع المعمورة، فرض تعلم القرآن الكريم و الصلاة باللغة العربية؛ ما أسهم في ذيوعها و دراستها، وتعلم آدابها و فنونها، وقد تمخض عن ذلك ظهور أجيال من المؤلفين والأدباء من غير العرب، كشفت مؤلفاتهم عن اتساق جلي بين اللغة العربية و سكان هذه البيئات الجغرافية الجديدة، وعمل النحت و الاشتقاق و التعريب على رفد اللغة العربية بآلاف من المفردات و المصطلحات؛ وبهذا هيمنت اللغة العربية على مفردات و مصطلحات علوم الطب و الفلك و الهندسة و الرياضيات و الكيمياء و الجغرافيا و غيرها.

واكبت البيئة الجغرافية بعواملها الاستراتيجية النمو المطرد للغة العربية، و شكلت هذه اللغة عنوانا لبلاط تلك البلدان و أنظمتها الإدارية، و صارت اللغة الرسمية للإمارات و الدول التي حكمتها؛ لتمتد على جغرافية غربي آسيا و شمالي شبه القارة الهندية، مخلدة مآثرها التي ما فتئت تتقد جذوتها بالرغم من تقلبات الزمن و تقادمه. و ها هي الحروف العربية شاهد عدل على مدى تأثير اللغة العربية على الحضارات الفارسية و التركية و الهندية؛ إذ أصبحت اللغة المعتمدة في بلدان فارس و الترك و شمالي الهند، و هذا دليل سيادتها على تلك الحضارات؛ لأنها الأقوى في التعبير و الأبلغ في التخاطب، و في ظل ذلك انتعش الخط العربي، وضم بين أنواعه الخط الفارسي و الخط الكوفي السلطاني الذي اعتمدته الدولة العثمانية، إضافة إلى خط الثلث الذي أبدع في صياغته الخطاطون الأتراك.

وأطلقت عدة بلدان إسلامية المسميات العربية على مناطقها و حواضرها، مثل: مدينة خير الله (كيرلا) و مدينة أمان الله (مانيلا) و مدينة أرض السلام (إسلام أباد) و مدينة إسلام بول (إسطنبول) و مدن قرطبة و قلعة مجريط (مدريد) و بولنسية (فالنسيا) و مرسية (مرسيليا) و العامرية (أليريا) و البندقية (فينيسيا) و نهر الطونة (الدانوب) و بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) و دار السلام – عاصمة تنزانيا – و جزر القمر وساحل العاج و بلد الوليد والجزيرة الخضراء.

و في خضم الإرهاصات التي صاحبت ذلك الامتداد الجغرافي للغتنا العربية، ازدهرت الحركة الثقافية والدراسات العلمية على يد العلماء المسلمين، وحفي بها المهتمون و الباحثون على اختلاف مشاربهم، واتخذوها منهلا عذبًا؛ لتأليف أمهات المصادر و الموسوعات في العلوم النظرية والتطبيقية.

جغرافية اللغة العربية، وسياسة تجفيف المنابع:

لا تتحدد قيمة الإنسان الحقيقية إلا من خلال كيانه اللغوي الذي ينتسب إليه، وكما يمكن أن نتحدث عن جغرافية الأوطان بتضاريسها ومناخها وسياستها واقتصادها وحضارتها وموروثها وقوتها وضعفها، كذلك يمكن أن نتحدث عن جغرافية اللغة، بما تمثله من أبعاد خطيرة لا ينبغي الاستهانة بها أو التقليل من أهميتها في تحقيق الانتماء الحقيقي الأكثر بقاء واستمرارا داخل رقعة مكانية ما، مهما اتسعت تلك الرقعة الجغرافية على أصحابها، أو ضاقت بهم، أو ضاقوا هم بها،لأن جغرافية اللغة أرحب دوما من جغرافية المكان.

إن جغرافية اللغة من جغرافية النفس والعقل والوجدان، وتلك مناطق غائرة وبعيدة لا تستطيع أي قوة في العالم أن ترصدها أو تعبرها أو تخترقها، خاصة عندما تكون محمية بجهاز صد داخلي منيع سليم من الأمراض والعلل.

لقد كان ظهور أمريكا بجبروتها العسكري وأطماعها الاستعمارية، على مسرح الأحداث داخل الوطن العربي، منذ احتلالها للعراق منذ ما يزيد على ثلاث سنوات، امتدادا طبيعيا للاستعمار الأوربي القديم لمعظم بلداننا العربية. ولا زالت آثار الاستعمار الأوربي القديم وجراحه التي لم تلتئم بعد، وعلله الكامنة والظاهرة قائمة داخل كل بلد من بلداننا العربية بقدر قد يزيد هنا أو ينقص هناك..

وتلك كلها أسباب قوية خارجية عمقت في داخلنا شروخا وتصدعات كثيرة، هي السبب فيما نعانيه الآن من

شعور بعدم التوافق بين جغرافية اللغة العربية وجغرافية المكان العربي.

ومعلوم أن حل جزء مهم من مشاكل أمتنا العربية والإسلامية متوقف على حل أم القضايا العربية والإسلامية، وهي القضية الفلسطينية، حلا عادلا منصفا يعيد الحق الطبيعي لأصحابه الطبيعيين.

وقد أثبت التاريخ العربي والإسلامي أن أحسن لحظات التوافق لدى المواطن العربي والمسلم، مع ذاته، ومع لغته، ومع ساسته وحكامه، ومع محيطه الخاص والعام، هي تلك اللحظات التي كانت تُرد فيها فلسطين خالصة إلى ديار العرب والمسلمين...

إن طرح قضية الخصوصية اللغوية داخل الوطن العربي في سياق الأزمة الحضارية العامة التي تجتازها أمتنا العربية من المحيط إلى الخليج، حق طبيعي ومبرر، كما الحق في الماء والهواء، غير أنه أصبح اليوم موضع شبهة، وقد يجر على صاحبه إذا ما قصد إثارته،إحراجا أو اتهاما يشعره بنوع من القلق والحيرة والتناقض مع ذاته ومحيطه؛

ومن مظاهر ذلك التناقض العجيب أن تجد نفسك محتاجا إلى الدفاع عن قضية اللغة العربية داخل بلدك العربي، إذ من المفروض أن لا يثار مثل هذا الموضوع أصلا داخل بلد يفترض فيه احترام خصوصيتنا اللغوية التي حملها وأوصلها إلينا الأجداد على مدى قرون طويلة من الكفاح والنضال.

ومن مظاهرها أيضا أن يجد كثير من المدونين العرب دوافع كثيرة للحديث عن هذا الموضوع الشائك في سياقات متعددة ولأسباب مختلفة.

أو أن يجد أحد المدونين نفسه مضطرا لاختيار عنوان مثير للفت الأنظار إلى هذه القضية، كعنوان (مدونة أخينا أحمد) التي جعل لها شعار (بلا فرنسية)، وقد حرك عنوانه هذا توابع وزوابع، وجعله عرضة للشك والحيرة أو الريبة.

وتلك فقط محاولة متواضعة من أخينا أحمد لمقاومة النزوع الفرنكفوني المتغلغل في بلد المغرب. ولا يعني بالضرورة موقفا عدائيا من الثقافة الفرنسية الأصيلة التي غذت الثقافة العالمية في جوانب العلم والحياة والثقافة الرفيعة. وإنما قصد الأخ أحمد أن يعبر عن إحساسه. وهو إحساس يشعر به معظم المغاربة البسطاء العاديين تجاه معظم المؤسسات الرسمية التي لم تحترم شعورهم عندما اختارت أن تجعل من اللغة الفرنسية، رغم دستورية اللغة العربية في البلاد، لغتها الأم في معظم ما تصدره من وثائق، أو فيما تعالجه من معطيات تخص شؤون المواطنين المغاربة، أوفيما يدلي به مسؤولوها من خطابات (مفرنسة) لا يفهمها إلا قلة من المغاربة المتفرنسين أو مزدوجي اللغة.

وكثيرا ما يسبب هذا الموقف إحراجا للأبناء، عندما يطلب منهم آباؤهم (التقليديون) تعريب كلام أحد الوزراء أو أحد المسؤولين، أو ترجمة ما تصدره معظم وزاراتنا من وثائق أو فواتير، لا يكاد يميزها المغاربة الأميون أو محدودي التكوين إلا بحكم العادة، كما العميان عند تعودهم على الطرقات وحفظهم لمنعرجاتها وحفرها مع تكرار عبورهم ومرورهم بها في كل يوم ووقت...

ومن مظاهر ذلك التناقض أيضا أنك عندما تدلي ببطاقتك إلى أي موظف أو مسؤول حكومي، فإنه يقلبها ظهرا لبطن، ولا يعتد إلا بالبيانات الموثقة فيها بالفرنسية.

ومن مظاهر ذلك التناقض أيضا أن التعليم الخصوصي الذي بدأ ينتشر على نطاق واسع ليغطي كافة مراحل التكوين والتعليم بالمغرب، تعطى فيه الأولوية القصوى للغة الأجنبية، وتحول بوصلته وأهدافه بعيدا في اتجاه الخارج، بما يخدم مصلحة المستعمِر. وكأنه يحرث أو يزرع في غير أرضه.

فمعظم المنتسبين إلى مؤسسات التعليم الخصوصي من إداريين وأساتذة وطلبة وتلاميذ ناشئين وحتى آباؤهم الموسرين جدا، أو ميسوري الحال المتشبهين بهم والمتعلقين بأهدابهم ترفعا عن البقية العظمى من الفقراء والكادحين، لا يتواصلون فيما بينهم، في الغالب الأعم، إلا عبر اللغة الفرنسية خالصة أو ممزوجة ببعض الكلمات الدارجة، بحيث ينتابك أحيانا شعور بأنك في مقاطعة فرنسية، أو شبه فرنسية إذا لم تنتبه إلى جغرافية المكان من حولك.

وهنا تتجسد أمامك كل التناقضات القائمة بين جغرافية المكان وجغرافية اللغة، فحتى أسماء الأشخاص والأماكن العربية والمغربية تحرف وتحول عن أصولها لتتطابق مع مخارج الحروف اللاتينية؛ فاسم مراكش يتحول إلى (مَغَاكِش)، وعبد الباقي إلى (أَبْدْ البَاكِي) وهكذا دواليك، فأي تناقض أكبر من هذا؟!!، وأي مسخ وطمس أكبر من هذا عندما تستعار حتى رطانة الأجانب وحتى ميوعتهم وحركاتهم وإشاراتهم... ؟!!

فعندما ظهر التعليم الخصوصي في

المغرب إبان فترة الانتداب الفرنسي، أول مرة، عمل جاهدا على تقوية الحساسية اللغوية العربية وحمايتها رغم كل ما بذله المستعمِر من جهود مضنية لتعميم التفرنس بين المغاربة، حتى إذا أعياه الأمر نهج سياسة التفريق العنصري البغيض بين سكان المغرب العرب والبربر المتعايشين منذ القدم وإلى الأبد، من خلال الظهير البربري المشؤوم. وتلك الروح الوطنية هي التي عمقت الشعور الوطني والحساسية اللغوية العربية بين أبناء المغرب في تلك المرحلة الحرجة، وفسحت المجال لظهور نخبة من رواد الحركة الفكرية والعلمية والأدبية والنقدية خلال مرحلة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. ولا زالت بصماتها واضحة على مجمل الحياة الثقافية العربية المغربية المعاصرة، ولا زال ألقها مشعا رغم مرور أزيد من نصف قرن. وقد استطاعت تلك الحركة أن تستوعب ثقافة المستعمِر الأجنبي وتصهرها في حس لغوي أصيل، دون انفصال أو استلاب.

إن استشعار الخصوصية اللغوية العربية في الشارع، وفي البيت، وفي الإعلام، وعلى ألسنة حكامنا وساساتنا ومسئولينا ومثقفينا أبسط مطالب الشعوب العربية اليوم، بعد أن أعيتها مطالبها الكثيرة الأخرى في توفير فرص العمل والعيش الحر الكريم. ولكن واقع الحال يجعل تلك الغاية بعيدة المنال الآن، مع إصرار حكوماتنا المتزايد على تكريس التبعية للآخر، ولوقوعها في فخ الهيمنة وكماشة صندوق النقد الدولي وغير الدولي، لتغدو الفرنكفونية في بلدان المغرب شكلا من أشكال تملق حكوماتنا للمستعمِر القوي المتغلب، الذي يجر وراءه سلسلة طويلة من الولاءات والتنازلات المتتالية التي قد تضع مبدأ الكرامة والعزة الوطنية في مهب الرياح العاتية القادمة من كل اتجاه وناحية.

ليس لدي أي موقف من الثقافة الأجنبية كيفما كان مصدرها، أقدر وأحترم كل ثقافات العالم على اختلاف لغاتها ولهجاتها ومللها ونحلها، فهي بمثابة الجداول الصغيرة التي تنطلق في جريانها من منبع واحد طبيعي أصيل، ولا بد لها أن تصب في نهاية انسيابها عند بحر الإنسانية الأعظم.

لكن ما أخشاه أن نعمل بوعي أو بجهل أو تهور، أو لحساب مصالح معجلة، أو حلول آنية ملفقة لا ينتبه إلى عواقبها الوخيمة، إلا بعد فوات الأوان عندما تصبح مناهلنا ومنابعنا اللغوية الأصيلة شحيحة أو جافة، وعندها لابد لنا أن نستجدي و نصطف على منابع الغير لإرواء ظمئنا على حساب سمعتنا وكرامتنا وعزتنا...

كان جبران خليل جبران الذي خدم اللغة الإنجليزية والأدب الإنكليزي والأمريكي بقدر خدمته للغة العربية وأدبها الحديث يقدر أهمية التواصل الثقافي بين الشعوب، على أن لا تتخلى عن انتمائها، وكان يُشبه صنيعه، فيما أنتجه من أدب وفن غزيرين بالشجرة الوارفة الظلال، تمد أغصانها إلى أبعد نقطة ممكنة، لكن تبقى جذورها راسخة في مكانها. وقد ذكرني موقف جبران بموقف الزعيم الهندي غاندي الذي اتخذته الأخت المحترمة عايدة الخالدي شعارا لمدونتها (آفاق) على موقع (مكتوب)، تقول فيه عن نفسها:

أقتدي بعظيم الهند غاندي، وأفتح نافذتي على كل الاتجاهات، دون أن أدع الريح تقتلعني من جذوري.

أضافها عبد اللطيف المصدق في قضايا لغوية وتربوية

جغرافية اللغة ونظم المعلومات

اتّسم الدرس اللغوي بطابعه الإنساني، لكونه يتناول الظواهر المرتبطة بالواقع اللغوي، هاته الظواهر التي تبرز من خلال النشاط الذي يمارسه الإنسان، عندما يتواصل مع غيره تواصلا لغويا، مما جعله محط اهتمام الباحثين في حقل الدراسات اللسانية الحديثة التي تنهض على التوصيف والمعالجة العلمية لظواهر اللغة، وربطها بأحدث الوسائط التكنولوجيات الحديثة، من هنا ارتأينا أن نلتفت إلى إحدى هاته الدراسات الميدانية التي تعالج الواقع اللغوي من وجهة جغرافية تصقله بمعارف وتقنيات مستهدفة ومنظمة تنظيما محكما.

سنحاول من خلال هذا كله مقاربة تقنيات نظم المعلومات من أجل استحداث قاعدة بيانات جغرافية تلامس واقع معرفي مع تحديد مواقع للتنوع اللغوي. من هنا كان لنا أن نطرح الأسئلة التالية:

= ما مدى إسهام اللسانيات التطبيقية في تنمية مواقع النظم اللغوية؟

ما دور السياسة اللغوية في تنظيم استخدام تنوعا لغويا يتماشى والتنوع الجغرافي؟].

علم الاجتماع التطبيقي والجغرافية اللغوية

تشغل اللغة حيزا اجتماعيا، تجري

على لسان شعب واحد أو أمة واحدة، تتعدد وتتنوع مستوياتها تبعا لتعدد الناطقين بها وتنوع ثقافتهم، وطبقاتهم الاجتماعية وتباعد الفوارق الزمانية والمكانية والمهنية بينهم.

والفضل يعود إلى الاتجاه البنيوي في تبيين هذا الاختلاف من خلال نطق الأصوات، ونوع المفردات والتراكيب. بحكم أن الاختلاف في النظم اللغوية واقع بين أفراد الشعب الواحد.

ومن هنا تجلت أهمية الدراسات الاجتماعية للغة، ليقوم علم اللغة الاجتماعي برصد وتوضيح العلاقة بين اللغة والمجتمع التي تظهر في تعدد النظم والمستويات اللغوية، التي تتألف بين أفرادها على شكل لغات أو لهجات، وتحديد الجماعات التي تستنطقها[٦].

تستدعي دراسة القضايا اللغوية في ضوء العلوم الاجتماعية اتصال البحث اللغوي بعلوم متباينة، كعلم الاجتماع، علم النفس، علم الجغرافيا، علم التربية، وغيرها.

لعل أبرزها وأوسعها هو علم اللغة الاجتماعي أو ما يعرف "باللسانيات الاجتماعية"، هو ذلك العلم الذي يبحث في اللغة بوصفها طاهرة اجتماعية لها نشوؤها وتطورها وتفرعها إلى لهجات متعددة، ويتناول تطورات اللغة من وجهة نظر سكانية على جميع مستويات التحليل الصوتية والنحوية والدلالية[٧]. يشمل دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع[٨].

صار علم اللغة الاجتماعي اليوم عصب الدراسات اللغوية وصلبها، وإن الدراسات المستقبلية ستتخذ معظمها طابعا لغويا اجتماعيا[٩].

مقترحات البحث:

في ضوء ما أسفر عنه البحث من نتائج وتوصيات يقترح الباحث إجراء الدراسات الآتية:

١- الربط الدائم بين اللغة العربية وسائر العلوم.

٢- القيام بدراسات مماثلة للبحث الحالي في تخطي اللغة العربية لكافة الحدود السياسية.

٣- بناء برنامج لإعداد معلم اللغة العربية في المرحلة الأساسية قائم على الكفايات التخصصية.

٤- تقويم أداء معلمي اللغة العربية في الصفوف الدنيا من المرحلة الأساسية في ضوء الكفايات التخصصية اللازمة لهم.

٥- استطلاع آراء طلاب كليات التربية (قسم اللغة العربية) حول الكفايات التخصصية التي يحتاجونها.

٦- دراسة أسباب تدني مستوى أداء معلمي اللغة العربية في المرحلة الأساسية

لا تقتصر هاته الدراسات اللغوية على رصد واكتشاف النظم الاجتماعية، بل تتعداها إلى البحث عن أهم الفروع التي تمت بصلة وطيدة بالدراسات الميدانية، ذلك أن مشكلة علم اللغة المستقبلية ستكون الدراسة التجريبية لوظيفة الكلام الاجتماعية[١٠].

تتجلى أهمية علم اللغة الاجتماعي في وضع الحلول الكفيلة لتخطي المشكلات اللغوية التعليمية، والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة، لما للغة من دور فاعل في الإفصاح عن العلاقات الاجتماعية والثقافية للمجتمع[١١].

جغرافية اللغة

من المسائل اللغوية الاجتماعية ذات الصلة بالجانب الجغرافي: المسح اللغوي للمناطق المدروسة، هي ظاهرة اجتماعية لغوية، تستهدف تحديد مواقع تنوع اللغات واللهجات وتعايشها في منطقة جغرافية واحدة، مع مراعاة أسباب التنوع اللغوي بالتنوع الجغرافي، وتخطي اللغات واللهجات للحدود الطبيعية وانتشار الأنماط اللغوية. إلى التخطيط في وضع خرائط جغرافية أو أطالس لغوية، تبين توزيع انتشار اللغات واللهجات في مناطق تواجدها، وتمثيلها بتوظيف وسائط إعلامية حديثة تساعد على تسيير وضبط مواقع النظم اللغوية وتنوعها بشكل آلي، محكم ومنظم.

تعود الإرهاصات الأولى لعلم اللغة الجغرافي إلى الحرب العالمية الثانية، حينها أثير الجانب الجغرافي من اللغة، مما أدى إلى إنشاء مكتب لتحليل الوسائط، ووضع المناهج الدراسية العلمية لتعليم اللغات لأفراد القوات المسلحة[١٢].

وما يهمنا من حلقة براغ المعروفة بنظرية «التقابل اللغوي"، أنها ركزت على نقطة مهمة أفادت بأن: " اللغات تؤثر بعضها في بعض عن طريق الاتصال الجغرافي والتاريخي، مما يجعلهما تتطور معا بطرق متشابهة"[١٣].

نتيجة الاحتكاك والتزاوج الثقافي والحضاري لأمة من الأمم تتأثر اللغات ببعضها البعض في جميع المجالات، بحكم عدة عوامل تكون سببا في نموها وازدهارها ورفعها إلى مصاف الدول المتقدمة، التي تسعى إلى تحقيق التنمية المستدامة، وذلك مرهون بمواكبتها للتطور في وسائل الإعلام والاتصال العالمية.

تقتصر مجمل المهام التي يقوم بها جغرافيو اللغة على حصر كيفية الأداء، بحسب التوزيع الجغرافي، والنظر في رضع خرائط خاصة بالنطق مثلا: خريطة خاصة بانتشار التراكيب، وهكذا يساعدنا كثيرا على معرفة مدى تكلم الناس باللغة العربية، كما تساعدنا على معرفة التلاميذ ونطقهم العربي حسب المناطق التي نشأوا فيها حتى يمكن تكييف عليما حسب الفطرة التي نشأت عليها، ومعرفة ميولهم اللغوية حتى تسهل عليهم النطق بها[١٤].

مجالاتها التطبيقية:

الأطلس اللغوي

يسهم الأطلس اللغوي في إجراء مسح لغوي شامل للمناطق التي تولي اهتماما كبيرا للاستخدام الأمثل لكل من اللغة واللهجة حسب نسبة سكانها ونموها الديمغرافي وما تلحقه من ركب في التقدم الحضاري والاقتصادي لمستعملين لأهلها[١٥].

ما هو إلا أداة فعالة تستقطب كم هائل من المعلومات عن سكان أو متحدثي أية لغة في أية منطقة تتواجد من أجل التخطيط في ضبط التعليم والتعلم السليم للنظم اللغوية حسب موقع انتشارها، لغة كانت أو لهجة

من نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى ما يلي::

- إن اللسان واللغة التي هي أداة التفاهم والتواصل، وهي وعاء الفكر وقالبه الحي، وما نراه اليوم هو طغيان الثقافة الغربية؛ حيث تشكل اللغة نسبة عالية من الإسهام في نقلها، ولا أدل على ذلك من أن (٨٨٪) من معطيات الإنترنت باللغة الإنجليزية، و(٩٪) بالألمانية، و(٢٪) بالفرنسية، و(١٪) يوزع على باقي اللغات [الشحود،٢٠١٠].
- إن نهضة العربية لن تعوقها أي حدود جغرافية مهما كانت..
- ضرورة المحافظة على الهوية العربية على كافة المستويات.
- أوضحت أن المحافظة على اللغة العربية واجب ديني، وحق دستوري.
- أماطت اللثام عن أعداء اللغة العربية في الداخل والخارج، وفضحت مخططاتهم.
- كشفت الدور المشبوه الذي يلعبه الإعلام المرئي والمقروء في مسخ الهوية العربية والإسلامية.
- بينت خطر استبدال العامية بالفصحى،والذي يستخدمه الإعلام بشكل كبير،فضلا عن استخدام مصطلحات أجنبية أثناء الحديث وفي بعض البرامج.
- أوضحت حاجة المجتمعات العربية والإسلامية إلى صياغة حديثة لنظرية تربوية إسلامية تكون في مواجهة التحديات والمخاطر التي تحدق بالأمة العربية.

التخطيط اللغوي:.

تؤكد الدراسات أن الإعداد للأطلس اللغوي لن يكون إلا مرشدا إلى اللهجات الحية للغة ما، ما يثبت أن ظهوره ارتبط بمحاولة إثبات التنوع اللانهائي للغة وعدم خضوع اللغة لمعايير محددة في تغيراته الصوتية، حينها التفت علماء اللغة المحدثون إلى مهمة إثبات فكرتهم عن طريق التخطيط لعمل خرائط لهذه اللهجات، لما له من صلة تمت علماء اللغة الجغرافي بمعلومات مفيدة عن مراكز تواجد اللغات في العالم وعدد المتحدثين بها.

نظم المعلومات

تعد نظم المعلومات الجغرافية من التقنيات التي تشغل حيزا بارزا في مجال التكنولوجيات الحديثة للمعلومات والتي يشهد نطاق استخدامها اتساعا مستمرا وتحظى باهتمام متزايد من قبل مستخدمي هده التقنيات كأداة قوية وفعالة لإدارة ومعالجة، وعرض المعلومات ولدعم عملية اتخاذ القرارات في مجالات عديدة منها النقل، الصحة، التسويق الجغرافي، الزراعة وتهيئة الإقليم، إدارة البيئة والموارد الطبيعية.

وتتنوع البيانات التي تتم معالجتها في ظل نظم المعلومات الجغرافية لتشمل مجالات عديدة يمكن تصنيفها إلى نوعين رئيسين: معلومات جغرافية وبيئية؛ ومعلومات تخص السكان.

= معلومات جغرافية وبيئية: كبيانات تحديد المواقع والإحداثيات الجغرافية وبيانات كفتوغرافية، وبيانات الخرائط الطبوغرافية وبيانات متعلقة بالموارد الطبيعية وبالأنظمة البيئية.

= معلومات تخص السكان: معلومات اقتصادية اجتماعية، العمران، النقل والاتصالات، الصحة، صناعة، تجارة..

تهتم تقنية نظم المعلومات بالعلوم الجغرافية، ما هي إلا قاعدة بيانات، تقوم بجرد وفهرسة المعلومات إلى تحزين وتبادل المعلومات من حيث النوع والكم دون إمكانية ربط المعلومات مع موقعها

الحقيقية على سطح الأرض، إذ تتيح نظم المعلومات الجغرافية عملية ربط المعلومات مكانيا مع إمكانية التحليل المكاني للقدر الهائل من المعلومات، بمجرد وضع المؤشر أو النقر على أي مكان جغرافي في الخريطة الإلكترونية، ما من ثانية تمر حتى تبدأ قاعدة المعلومات بتزويدنا بأكبر قدر من المعلومات مثلا: عرض اسم المنطقة المدروسة، موقعها الجغرافي، المساحة الإجمالية، الكثافة السكانية، نسبة المتحدثين بلغات و لهجات متباينة في هاته المنطقة،و في مناطق أخرى مجاورة لها، إلى إبراز مدى ارتباط التنوع الجغرافي و تأثيره على الواقع اللغوي.

نجاح هاته التقنية الإعلامية مرهون بنجاح البرنامج التدريبي الذي يسقط على المسح المكاني للواقع الجغرافي المدروس.

التوصيات:

١- ضرورة توفّر القرار السياسي الجادّ لفرض اللغة العربيّة الفصيحة في حياة الشعب-

٢- عقد دورات تقوية في اللغة العربية: كتابة ومحادثة، تشمل المشرفين ومديري المدارس والمعلّمين في جميع التخصّصات.

٣- ضرورة تطوير المنهاج والمعلّم على نحو مستمرّ-

٤- ضرورة خضوع المتقدّم لوظيفة التعليم (معلّم) لاختبار يماثل اختبار (التوظل)

٥- تشكيل لجنة في كلّ مدرسة لمتابعة الأخطاء الإملائيّة المتضمّنة في النشاطات المنهجيّة واللامنهجيّة جميعها، وتصويبها.

٦- تشجيع الطلبة المتحدّثين باللغة الفصيحة، وتحفيزهم، وعدم السخرية منهم أو إحباطهم.

٧- قراءة القرآن الكريم بطريقة ممنهجة تخدم تعلّم اللغة العربيّة.

٨- تحفيز الطلبة والمعلّمين على المطالعة المستمرّة.

٩- التركيز على المسابقات الثقافيّة، والاهتمام بها، وتحفيزها.

١٠- التركيز على حصّة النّحو.

١١- التركيز على مهارتي الاستماع والمحادثة، وتفعيلهما.

١٢- وجوب جعل اللغة العربية الفصحى - اللغة الوحيدة المستعملة داخل الصفوف الدراسية مهما كانت نوعية المادة التي تدرس.

١٣- الاهتمام الشديد بالمرحلة الأولى في إعداد الناشئة وتهيئتهم لتعلم وممارسة مهارات اللغة العربية الأربع.

١٤- التركيز على التدريب والممارسة، وتقديم المحتوى المناسب لكل فئة عمـرية معينة، ومراعاة اهتمامات وميول وحاجات الناشئة.

١٥-الإعداد التربوي والأكاديمي السليم والكافي لمعلمي اللغة العربية، والتنويع في طرق التدريس لمقابلة الفروق الفردية، والاهتمام باستخدام مصادر التعلم المنوعة.

١٦- وجوب التخلي عن الخادمات الأجنبيات في مجال تربية الناشئة العرب، لتأثيرهن البالغ والسلبي على اللغة العربية السليمة لدى هؤلاء الناشئة.

وفي الختام أقول: رحم الله أبا منصور الثعالبي عالم اللغة في القرن الرابع الهجري حين قال:

(من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ،ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها،وصرف همته إليها، فنحن نشهدك يا الله أننا نحبك، ونحب نبيك ونحب العرب ونحب لغة العرب) (كتاب فقه اللغة وسر العربية) للثعالبي.

المراجع:

-١ محمود سعران، اللغة والمجتمع، طرابلس، ١٩٨٥ ص ١٦ وما بعدها.

-٢ عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار الثقافة، ص ١١-١٢.

-٣ بروان دوجلاس، أسس تعلم اللغة وتعليمها، تر. عبده الراجحي وعلي أحمد شعبان، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٤، ص ٢٢٢-٢٢٤.

-٤معجم البلدان لياقوت الحموي.

٥- كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٩٣، ص ١٠١.

٦- مازن الوعر، اللسانيات والعلم والتكنولوجيا، اللسان العربي، العدد ٢٢، ١٩٨٣، ص ١٨.

٧- هدسون، علم اللغة الاجتماعي، تر. محمود عياد، ط١، دائرة الشؤون الثقافية العلمية، بغداد،

-٨ عبد الفتاح عفيفي، علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٩٩.

-٩ ماريوباي، أسس علم اللغة، عالم الكتاب، ١٩٩٨، ط٨، ص ١٣٢.